كعب بن زهير بن أبي سلمى

قصيدة البردة

إعداد وتنسيق

المهندس

رمزي عيروض الصمه جي

عن

المكتبة الشاملة

www.shamela.wsS

بردة[1] كعب[2] بن زهير بن أبي سلمى[3]

---

[1] البردة
ورد في المعاجم اللغوية أن البردة كساء مخطط يلتحف به. بل هي قطعة طولية من القماش الصوفي السميك الذي يستعمله الناس لستر أجسامهم أثناء النهار كما تتخذ غطاء في أثناء الليل وكانت البردة معروفة عند البدو ومن أشهرها برود اليمن، وكان هذا النوع من اللباس معروفا في الأندلس ويبدو أن البرد معروف عند فلاحي مصر.

[2] كعب وقصة اسلامه:
يعد كعب بن زهير بن أبي سلمى ﷺ واحدا من فحول الشعراء المخضرمين فهو من مضر، وأمه كبشة بنت عمار بن عدى، تزوجها زهير بن أبي سلمى، وكانت منازلهم بالحاجر من نجد، وزهير تزوجها على زوجته الأولى أم أوفى التي لم تكن يعيش لها ولد، ولما تزوج كبشة أصابتها الغيرة فطلقها ثم ندم بعد ذلك.
أما نسب والده فهو زهير بن ربيعة بن رباح، ويعد زهير من الشعراء الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء في الجاهلية (امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني) وقد أجمع النقاد على رأي عمر بن الخطاب ﷺ فيه بأنه: "كان لا يفاضل ويتجنب وحشى الكلام، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه"، فكان كثير التنقيح والتهذيب حتى زعموا أنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، وينقحها في أربعة أشهر، ثم يعرضها على أصحابه في أربعة أشهر، وعاش حوالي تسعين عاما، وتوفى قبل مبعث الرسول ﷺ.
وتحدثوا فقالوا: أن زهيرا كان كثيرا ما يلتقي بأهل الكتاب ويسمع منهم ويتحدث إليهم ويفكر فيما دعي إليه منهم، لذا جاء تفكيره واضحا من خلال ما يذكره عن الفناء والبقاء حيث يقول:

بدا لي أن الناس تفنى نفوسهم   وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا

وذات ليلة رأى زهير فيما يراه النائم أن أسباب السماء قدمت إليه، فلما هم أن ينالها نأت عنه، ثم أفاق من نومه، ولم يشك في أن لهذه الرؤيا دلالتها وتأويلها، فجمع بنيه الثلاثة (سالماً وكعباً وبجيراً) وقال لهم: أنه كائن خبراً، وأوصاهم أن يستقصروا هذا الخبر، وينتفعوا به وبما يحدث به من أخبار السماء. [طه حسين- تاريخ الادب].
واتفق الرواة على أن الشعر لم يتصل في الجاهلية بأحد إلا في زهير، وفي الإسلام بجرير وكعب، فوالد كعب زهير كان شاعرا، وجده أبو سلمى كذلك، وعمتاه (سلمى والخنساء)، وخال أبيه بشامة بن الغدير، وابنا عمته (تماضر) الخنساء، وأخوها صخر، وابنا بنته سلمى العوثبان وقريض، وأخوه بجير، وولده عقبة (المضرب) وحفيده العوام بن عقبة، فكلهم شعراء، فكعب أحد الفحول المجيدين في الشعر ومقدم على أهل طبقته.
وقال كعب الشعر وهو صغير، فكان أبوه زهير ينهاه ويضربه مخافة أن يقول ما لا فيه خير ولا منفعة، ويحكي أن زهير علم باستمراره في قول الشعر، فدعاه وضربه ضربا شديدا، ثم أطلق سراحه وسرحه في بهمه فانطلق يرتجز، فخرج إليه زهير وهو غضبان، فدعا بناقته فأردفه خلفه ثم راح يضرب ناقته، وهو يريد أن يتعرّف على ما عند كعب ويعلم ما عنده ويطلع على شعره، وتأكد بعد ذلك زهير من استرسال كعب في الشعر فأذن له فقال له: قد أذنت لك يا بني، فنزل كعب إلى أهله قائلا:

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع   بعرض أبيه في المعاشر ينفق

وقد ولد كعب في الجاهلية ثم أسلم، وامتد به العمر حتى زمن معاوية بن أبي سفيان. وقد تأخر بجير وكعب عن الدخول في الإسلام، ولما زاد انتشار الإسلام تآمر كعب وبجير ضد النبي ﷺ والمسلمين في المدينة المنورة، فانطلقا حتى بلغا (الأبرق). قال بجير لأخيه كعب: أقم هنا حتى آتي هذا الرجل فأسمع منه وأعلم علمه ثم أعود إليك. وأقام كعب، وذهب بجير وبقي كعب ينتظر عودة أخيه بجير الذي آمن برسالة السماء لأول وهلة رأى فيها الرسول عليه الصلاة والسلام، فأقام مع صحابة الرسول الكريم حيث وجد الأمن والأمان والاستقرار، ويئس كعب من مقدم أخيه وطال انتظاره، حتى استيقن أن أخاه بجيراً اتبع دين محمد عليه الصلاة والسلام، وأنه قد صبأ، فغاظه ذلك وساءه فأرسل إلى أخيه يؤنبه برسالة يقول فيها:

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة   فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
شربت مع المأمون كأس روية   فانهلك المأمور منها وعلكا
خالفت أسباب الورى وتبعته   على أي شيء ريب غيرك دلكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف   ولا قائل أما عثرت لعاً لكا

وفي رواية أخرى:

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة   على أي شيء ريب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أماً ولا أباً   عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكر بكأس روية   فانهلك المأمور منها وعلكا

وتلقي بجير رسالة أخيه كعب ونقلها إلى الرسول ﷺ، فأباح الرسول عليه الصلاة والسلام دم كعب، لتعرضه للدين وللنبي والمسلمين بالإساءة.
وكان كعب كغيره من شعراء الشرك يهجو النبي عليه الصلاة والسلام، ويحرض عليه ويدس إلى مجلسه من يناله بمكروه، ويقول الشعر كما كان يقوله غيره من الشعراء، وعلم كعب أن النبي ﷺ قد أباح دمه كغيره من الشعراء الذين نالوا النبي ﷺ وأصحابه

بالإساءة، ففر الكثير من هؤلاء بعد الفتح، وقتل من قتل من أمثال: نضر بن الحارث، الذي قتله الرسول ﷺ، وكعب ليس بأقل جرما منه ومن هؤلاء الخصوم. كل ذلك ملأ قلب كعب رعباً وفزعاً وخوفاً مما أمر به النبي ﷺ.
وحاول كعب الفرار كغيره من أمثال ابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب، ولكن دون جدوى، فضاقت به الأرض وتخاذل الناس من أمامه ولم يجد من يمد له يد العون، فأخوه بجير على غير ملته، والصراع في نفسه صراع رهيب، لأنه يعلم بأن المسلمين إن رأوه سيقتلونه، لعلمه بأنه ليس هناك ممن نطق بالشهادتين من يرفض ما أباحه النبي ﷺ، فهو هالك لا محالة.
ويأمل بجير أن يخطو كعب خطاه، حيث الاستقرار النفسي والاطمئنان والتضحية في سبيل الحق، فما كان من بجير إلا أن بعث إلى أخيه كعب ينصحه بأن يطلب العفو من النبي ﷺ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام رؤوف رحيم، ذو خلق كريم، يأمر بالعفو ويعرض عن الجاهلين، وجاءته رسالة بجير ينشده للإسلام والشهادة:

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النجاة وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من النار الا الطاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ... ودين أبي سلمى علي محرم

فلما بلغ الكتاب كعبا ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه، وقد انفض عنه من كانوا بالأمس يدفعونه لهجاء الرسول عليه الصلاة والسلام، وقالوا: (مقتول) ... فاستقرت عزيمة كعب على أن يستجير بعفو النبي من غضب النبي عليه الصلاة والسلام، وانطلق حتى بلغ المدينة، فأوى إلى أبي بكر الصديق ﷺ - كما تقول بعض الروايات - ليأخذه إلى النبي ﷺ، وهناك رواية أخرى تقول أنه نزل على رجل من جهينة كانت بينه وبين كعب صلة، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح فصلى معه ﷺ، ثم أشار لكعب إلى الرسول فقال: هذا رسول الله فقم إليه، يقول كعب: "فعرفت رسول الله بالصفة فتخطيت حتى جلست إليه"، وكان كعب ملثماً بعمامته، فقال: "يا رسول الله هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام". فبسط النبي ﷺ يده، فحسر كعب عن وجهه وقال: "هذا مقام العائذ بك يا رسول الله، أنا كعب بن زهير"، وهم به الأنصار عند معرفتهم له لما قدم من اساءة للنبي عليه الصلاة والسلام.
وتواثبوا يريد كل واحد منهم قتله، فقال رسول الله ﷺ: (دعوه فإنه قد جاء تائبا عما كان عليه)، ونهاهم عنه. وبايع كعب النبي عليه الصلاة والسلام. وتقول بعض الروايات: أن النبي استنشد أبا بكر ما كان كعب قد قاله في هجائهم، فقال ﷺ: (كيف قال يا أبا بكر؟)، فأنشده أياه أبو بكر، فلما بلغ قوله (فانهلك المأمور منها وعلكا) فقال كعب: "لم أقل المأمور يا رسول الله وإنما قلت المأمون"، فقال النبي ﷺ: (مأمون والله مأمون)، ورضى النبي عليه الصلاة والسلام عن كعب بن زهير، فما كان من كعب إلا أن وقف أمام الرسول ﷺ وأنشده قصيدته التي عرفت فيما بعد بقصيدة البردة، وقد أعجب رسول الله ﷺ بهذه القصيدة وبخاصة عندما وصل إلى قوله:

ان الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

(وفي رواية أخرى عن سعيد بن المسيب قال لما انتهى إلى كعب بن زهير قتل بن خطل وكان بلغه أن النبي ﷺ أوعده بما أوعد به خطل، قيل لكعب إن لم تدارك نفسك قتلت، فقدم المدينة فسأل عن أرق أصحاب رسول الله ﷺ، فدل على أبي بكر فأخبره خبره، فمشى أبو بكر وكعب على أثره وقد التثم حتى صار بين يدي النبي ﷺ، فقال رجل يبايعك فمد النبي ﷺ يده فمد كعب يده فبايعه وأسفر عن وجهه فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

نبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

وفيها:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهندٌ من سيوف الله مسلول

فكساه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بردة له فاشتراها معاوية من ولده فهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد.)
وقد سر النبي عليه الصلاة والسلام بأن يكون بجانبه شاعر مجيد، وقد كان من كرم رسول الله ﷺ وتقديره لكعب أن وهبه بردته الخاصة، فسميت هذه القصيدة فيما بعد ببردة كعب، وأن معاوية أراد أن يشتري البردة من كعب وأغلى له الثمن، ولكن كعبا أبى أن يبيع بردة الرسول عليه الصلاة والسلام، فلما مات كعب راجع معاوية أهله فاشتراها بأربعين ألف درهم، وهي التي توارثها الخلفاء فيما بعد وكانوا يخرجون بها للناس في العيدين، ثم انتهت إلى الخلفاء من الأتراك من بني عثمان فحفظها السلطان مراد الثاني في صندوق من الذهب، ولم تزل محفوظة فيه إلى الان في الآستانة في تركيا والله أعلم..

٣ أضواء على لامية كعب في مدح الرسول ﷺ:

عندما أنشد كعب بن زهير قصيدته في مدح الرسول ﷺ لم يخرج عن المألوف عند شعراء الجاهلية، إذ بدأ قصيدته كعادتهم قبل الإسلام، فقد بدأها بالغزل والتشوق إلى الحبيب. وفيه يفصح كعب عن لوعته وشوقه إلى سعاد التي بعدت عنه حتى اضناه الفراق، فهو أسيرها لا يجد الوسيلة التي يستطيع أن يفك قيوده منها، وما سعاد سوى هذه الحبيبة أو الزوجة كما وردت في بعض الروايات، وينهي هذا الجزء من القصيدة عند البيت الثالث عشر.
وفي هذا الجزء يتعرض كعب بن زهير لوصف حسي، وقد أدهشنا فيه أنه ذكره أمام الرسول ﷺ عقب صلاة الفجر في المسجد، فلم ينهه الرسول عليه الصلاة والسلام عن إنشاد هذا الغزل، بل رفع عنه العقوبة التي كان قد عاقبه بها. وان دل على شيء فهو يدل على تفتح آفاق الإسلام وآفاق الرسول ﷺ. وسماحة المبادئ الإسلامية الغراء، وكعب بن زهير عندما تعرض لهذا الغزل لم يكن يقصد الغزل لذاته، وإنما اتخذه مدخلا لما سوف يلي ذلك من إعجاب بدين الله ومدح رسول الله ﷺ، وذلك امتداد لما كان عليه الشعراء. وبعد معرفته الإسلام وإيمانه به وعفو رسول الله ﷺ لم يعد يتعرض في شعره للغزل الحسي. أو غير الحسي.

ونستطيع أن نقول أن كعبا حينما طرح صورة سعاد إنما يطرح أمام المستمع صورة خيالية متحركة كاملة، ليدلل على أنه مفتون بجمالها، وتناسق أجزاء بدنها، في الوقت الذي يأمل من تحقيق رغبة في الوصال واللقاء.
ولكن من هي سعاد؟ هل هي تلك السعادة التي تحرك شعوره الداخلي لمبايعته للرسول عليه الصلاة والسلام بالإسلام والشهادة أم هي سعادته بدخول الدين الجديد؟ ..
وإذا ما تمعنا في بداية القصيدة، ونظرنا بعين المتأني لنفسية كعب فيها، تبين لنا أن سعاد ما هي إلا الدعوة الإسلامية، والتي هو بعيد عنها، وأنه في شوق إليها بعد أن وصلت إليه رسالة أخيه بجير، وفيها أن الرسول أخ كريم وابن أخ كريم، يعفو ويعرض عن الجاهلين، وكعب ممن حق عليهم القتل كغيره، فأحس بنشوة الإيمان لمحتوى رسالة أخيه الذي سبقه بالإيمان ووجد الأمان في ظل رسول الله ﷺ. إذن سعاد ما هي إلا الدعوة وهو في شوق إليها وإلى التلذذ بمبادئها، وشرب شرائعها السمحة.
وفي الجزء الثاني من القصيدة يتعرض كعب لغرض من أغراض الشعر الجاهلي وهو وصف الناقة أو الراحلة، ولعله غرض ثابت تقريبا في أكثر من المطولات الشعرية، وأغلب هذه القصائد لا بد أن تحتوي على وصف الراحلة إن كانت ناقة أو حصانا، وهنا يبدأ كعب بتمهيد منطقي لوصف ناقته، وهي وسيلته للوصول إلى محبوبته، وجاءت ضرورة وصف الناقة كأداة للوصول إلى أرض سعاد البعيدة. ويصف ناقته وصف مختص فاهم عارف بطبائع وصفات هذا الحيوان، وليس ذلك بمستغرب عليه وهو يقيم بين النوق، فهو يركبها، ويرعاها، ويشرف على تربيتها وولادتها. وعلى أكلها وشربها، ويعرف أنسابها وأنواعها، والجيد منها وغير الجيد، والكريم وغير الكريم، والسريع وغير السريع وما إلى ذلك من صفات هذه النوق.
وتعرض كعب بن زهير لهذه الناقة من خلال استخدامه المفردات البيئية التي يعيش فيها، ولا يستعير من مفردات ومعاني الحضارات المجاورة كالفارسية والرومانية، بل يعتمد في تعبيره على قاموس البيئة العربية. وهذه الصفات امتدت على مدى واحد وعشرين بيتا.
ونجد كعبا قد أنهى هذا الجزء بنهاية مفاجئة بلا تمهيد، لينتقل إلى غرض اخر، وهو ما يسعى إليه كعب ليطرحه أمام الرسول ﷺ يمدحه ويظفر بعفوه، وبهذا الانتقال المفاجئ، يريد أن يؤكد حقيقة واقعة لمسها، إذ يكشف أمام الرسول ﷺ وأصحابه عليهم رضوان الله من خلال أربعة أبيات مركزة كل التركيز، ولكنها تكشف عما في نفسه واحساسه، بأن الوشاة ليس لهم إلا بث الفرقة والاساءة ومراعاة مصالحهم الذاتية، وتشويه قيمة الإنسان كإنسان، هم الذين بالأمس قد أخبروه بإهدار الرسول ﷺ لدمه، ولا عفو عنده ولا تراجع ولا مسامحة، وهم أيضا الذين استحثوه ودفعوه إلى ذلك مما أورده هذا المورد الخطر، واليوم قد تخلوا عنه.
ونزوعه نحو إلقاء القصيدة يعتبر لحظة تحول في حياته، فيها كشف عن العلاقات الإنسانية، مما جعله يلخصها تلخيصا شديدا في مجموعة من الحكم أو الحقائق المكثفة فلسفيا ودراميا، فقد استطاع أن يؤكد ثلاث حكم أو حقائق بليغة كل البلاغة..

١- الحقيقة أو الحكمة الأولى: "أنه لا صديق إلا نفسه"، من قوله: (كل صديق عنك مشغول)؛
٢- والحقيقة أو الحكمة الثانية: "ان الله ما شاء فعل"، من قوله: (وكل ما قدر الرحمن مفعول).
٣- الحقيقة أو الحكمة الثالثة: "إن كل انسان مهما طالت به الحياة سينتهي إلى التراب"، من قوله: (يوم على آلة حدباء محمول)

ولعله لا يفوتنا ونحن بصدد قوله: نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
أن نشير إلى أن كلمة نبئت عند كعب كانت شعاع نور وبداية لحياة جديدة، بفضل رسول الله ﷺ من بعد فضل الله، فقد أحل دمه، ولكن الرسول أوعده بالعفو، وأنباه بذلك أخوه بجير. ويبدو كعب بعد ذلك كالطفل الوليد، مادحا من أعطاه صك الحياة مرة أخرى، ألا وهو رسول الله ﷺ. الذي يمثل عنده وفي هذه اللحظة بالذات، لحظة العفو والصفح، الأب والأم والأسرة.
وفي أثناء مدحه للرسول عليه الصلاة والسلام يأخذ في الاعتذار عن ذنوبه، وما أخطأ فيه، لقد ترك كعب الوشاة وزمرة السوء، وبدأ يلجأ إلى أصحاب رسول الله ﷺ ليتخذ منهم الرفاق والصحاب، ويستبدل الماضي بالحاضر، حيث الاستقرار والصدق والفداء والتضحية، وهذا يكشف عن إحساسه بتصديق ما جاء عن رسول الله ﷺ، وعما سمعه عن المسلمين المحيطين به، كما يعتبر بداية لإيمانه برسالة هذا الرسول الكريم ﷺ، وبتصديق ما جاء به. ويخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام بنفس مطمئنة راضية، متضرعا إليه بعظمة الله سبحانه، وبعظمة القرآن الكريم كمعجزة نزلت عليه من السماء إذ يقول:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

وبهذا القول يقر كعب بن زهير بأحقية الرسول في نبوته وبمعجزته الدائمة القران الكريم، ويؤكد أن الرسول قادر على تنفيذ إهدار دمه، فيتوسل إليه بقوله: "مهلاً"، ثم يقر بوجود الله، فيدعو الرسول ﷺ قائلا: "هداك الذي أعطاك نافلة القرآن"، معترفا بأن هذا القرآن من عند الله، ومعجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام، وهل يستطيع شاعر مهما كانت بلاغته أن يقول في بيت واحد كل هذه المعاني بلا خلل؟ وفي كلمات محدودة ما قاله كعب في القرآن الكريم؟
إنها نغمة إيمانية مفاجئة أصابت كعبا فبهرته، فتفتحت نفسه للإيمان وللإسلام، وتحول من يأسه وعدم مبالاته بالموت إلى إنسان يطلب العدل في مجلس الرسول ﷺ والأمان بين رعيته من المسلمين.
ويمضي بعد ذلك كعب، فيصف مجلس الرسول، متخذا من القفار والوديان وحيوانات هذه القفار وتلك الوديان صور حسية تشعرنا بالأثر النفسي الذي أصابه وتملكه في مجلس الرسول ﷺ، وبمدى الرعب والهلع والفزع الذي شعر به وهو جالس أمام الرسول الكريم، ويرى هيبته وعظمته بين أصحابه. ويختتم كعب بن زهير لاميته المطولة في مدح الرسول ﷺ بثمانية أبيات يمدح فيها الرسول الكريم، ويبين أحداث الهجرة ثم حروب المسلمين مع الكفار، ويفتتحها بأجمل بيت في القصيدة كلها معنى ومبنى، ألا وهو قوله: إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
وفيه يصف الرسول الكريم بأنه نور وسيف.

١- بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ   مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ[٤]

بانت: فارقت فراقا بعيدا. سعاد: اسم امرأة، متبول: اسقمه الحب وأضناه، متيم: ذليل مستعبد، لم يفد: لم يخلص من الأسر، مكبول: مقيد.

٢- وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا   إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

الأغن: الظبي الصغير الذي في صوته غنه، غضيض الطرف: فاتره، ومكحول: من الكحل ويعني سواد يعلو جفون العين.

٣- هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ   لَا يَشْتَكِي قِصَرٌ مِنْهَا وَلَا طُولُ

هيفاء: ضمور البطن ودقة الخاصرة، ومقبلة: حال، عجزاء: كبيرة الردف. لا يشتكى قصر: لا يشتكى الرائي عند رؤيتها قصر فيها.

٤- تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظُلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ   كَأَنَّهُ مَنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

تجلو: تصقل وتكشف، والعوارض: جمع عارضة أو عارض وهي الأسنان، الظلم: ماء الأسنان وبريقها، والمنهل: المسقى، وبالراح: متعلق بمنهل، والراح الخمر، معلول: الشرب الثاني.

٥- شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَّةٍ   صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ

شجت: مزجت حتى انكشرت سورتها، ذو شبم: ماء شديد البرد، المحنية: منعطف الوادي، الأبطح: المسيل الواسع الذي فيه دقات الحصى، أضحى: أخذ في وقت الضحى قبل أن يشتد حر الشمس مشمول، الذي ضربته ريح الشمال حتى برد.

٦- تَنْفِي الرِّيَاحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَتْرَفَهُ مِنْ   صَوْبِ سَارِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ

القذى: ما يقع في الماء من تبين أو عود أو غيره مما يشوبه ويكدره، أفرطه: سبق إليه وملأه، الصوب: المطر، الغادية: السحابة تمطر غدوة، اليماليل: الحباب الذي يعلو وجه الماء.

٧- فَيَالَهَا خِلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ   بِوَعْدِهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

٨- لَكِنَّهَا خِلَّةٌ سِيطَ مِنْ دَمِهَا   فَجْعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ

الخلة: الصديقة. سيط: أي خلط بلحمها ودمها الصفات المذكورة بالبيت، الفجع: الإصابة بالمكروه كالهجر، الولع: الكذب، أخلاف: خلف الوعد.

٩- فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا   كَمَا تَلَوَّنَ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ

فما تدوم: فما تقوم، الغول: الساحرة الجن.

١٠- وَمَا تَمَسَّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ   إِلَّا كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ

وما: ولا، تمسك: (مضارع حذف إحدى تاءيه) يشبه تمسكها بالعهد بإمساك الغرابيل للماء مبالغة في النقض.

١١- فَلَا يَغُرَّنَّكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ   إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

ما منّت: ما منتك إياه.

١٢- كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مِثَلاً   وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

كانت: صارت، عرقوب: رجل اشتهر عند العرب باختلاف الوعد والأباطيل: جمل باطل على غير قياس.

١٣- أَرْجُو وَآمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا   وَمَا أَخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيلُ

١٤- أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَا يَبْلُغُهَا   إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ

العتاق: الكرام، والنجيات: جمع نجيبه وهي القوية الخفيفة أي السريعات، والمراسيل: جمع مرسال وهي السريعة.

١٥- وَلَنْ يَبْلُغَهَا إِلَّا عَذَافِرَةٌ   فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ أرقالٌ وتبغيلُ

العذافرة: الناقة الصلبة العظيمة، والأين، الأعياء والتعب، وارقال والتبغيل: ضربان من السير السريع.

١٦- مِنْ كُلِّ نضاحةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ   عَرْضَتُهَا طَامِسَ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ

النضاحة: الكثيرة رشح العرق، والذفرى: النقرة التي خلف إذن الناقة وعرضتها: هامتها، وطامس الأعلام: الدارس المتغير من العلامات التي تكون في الطريق ليهتدي بها.

١٧- تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ   إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَانُ وَالْمِيلُ

الغيوب: اثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون، والمفرد: الثور الوحشي الذي تفرد في مكان، واللهق: (بفتح الهاء وكسرها) الأبيض، والحزان: الأمكنة الغليظة الصلبة تكثر فيها الحصباء وهي جمع حزيز، والميل: جمع ميلاء وهي العقدة الضخمة من الرمل.

---

[٤] تم تشكيل النص نظراً لصعوبة المفردات اعتماداً على المعاجم وخصوصاً لسان العرب لابن منظور الأنصاري.

١٨- ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مَقِيَّدُهَا   فِي خُلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ

المقلد: موضع القلادة في العنق، وفعم: ممتليء، والمقيد: موضع القيد، وبنات الفحل: الإناث من الإبل المنسوبة للفحل المعد للضراب.

١٩- غَلْبَاءُ جَنَّاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ   فِي دَفْعِهَا سِعَةٌ قُدَّامُهَا مَيْلُ

غلباء: غليظة العنق، ووجناء: عظيمة الوجنتين، أو هي من الوجين وهو ما صلب في الأرض، وعلكوم: شديدة، ومذكرة: عظيمة الخلقة، وقدامها ميل: كناية عن طول عنقها أو سعة خطوها.

٢٠- وَجِلْدُهَا مِنْ أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ   طَلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ

الأطوم: بفتح الهمزة: سلحفاة بحرية غليظة الجلد وقيل: هي الزرافة، ويؤيسة: يذلله ولا يؤثر فيه، والطلح: القراد دويبه معروفه يلزق بالدابة، والضاحية ناحيته البارزة للشمس، والمتنان: ما يكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم، ومهزول: صفة لطلح أي قراد مهزول من الجوع.

٢١- حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مَهْجَنِهِ   وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ

الحرف: القطعة الخارجة من الجبل، شبه الناقة بها في القوة والصلابة، والحرف الناقة الضامرة وأخوها أبوها.. إلخ.. يريد أنها مداخلة النسب في الكرم، والمهجنة: الكريمة الأبوين من الإبل، والقوداء: الطويلة الظهر والعنق وهي من صفات الإبل التي تمدح بها، والشمليل: الخفيفة السريعة.

٢٢- يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ   مِنْهَا لِبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ

يزلقه: من الإزلاق أي يسقطه، واللبان: الصدر وقيل وسطه، والأقراب: الخواصر والمراد بالجمع هنا المثنى، والزهاليل: الملس (جمع زهلول) .

٢٣- عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتُولُ

العيرانه: الناقة المشبهة عير الوحش في سرعته ونشاطه وصلابته، والنحض: هو اللحم، وعن: بمعنى من، وعرض (بضمتين أو بضم أو فسكون) : جانب، والمرفق: يريد المرفقين، والزور: الزور وقيل وسطه، وبنات الزور: ما يتصل به مما حوله من الاضلاع وغيرها.

٢٤- كَأَنَّمَا قَابَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحُهَا   مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ

الخطم: الأنف وما حوله، واللحيان: العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره، والبرطيل: حجر مستطيل، والقاب: المقدار والمراد المسافة من وجهها إلى عينيها.

٢٥- تَمُرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ   فِي غَارِزٍ لَمْ تَخُونُهُ الْأَحَالِيلُ

عسيب النخل: جريده الذي لم ينبت عليه الخوص، وذا خصل: يريد ذيلا له لفائف من الشعر، وفي غارز: أي على ضرع، ولم تخونه: لم تنقصه، والأحاليل: مخارج اللبن جمع إحليل بالكسر.

٢٦- قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا   عُتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ

القنواء: المحدوبة الأنف، ويروى (وجناء) ، والحرتان: الأذنان، والعتق بالكسر: الكرم، والمبين: الظاهر، وتسهيل: سهولة ولين لا خشونة ولا حزونة.

٢٧- تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ   ذَوَابِلُ مَسُّهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ

تخدى: تسرع أي تسترخى، واليسرات: القوائم الخفاف، وهي لا حقة يعني أي والحال أنها لاحقة بالنوق السابقة عليها أو بالديار البعيدة عنها (وهي لا أهية) أي غافلة عن السير، والذوابل: جمع ذابل وهو الرمح الصلب اليابس، ومسهن أي مس تلك اليسرات للأرض أو وقعهن عليها، وتحليل: أي قليل لم يبالغ فيه.

٢٨- سُمْرُ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَى   زِيَماً لَمْ يَقِهِنَّ رُؤُوسَ الْأَكَمِ تَنْعِيلُ

العجايات: الأعصاب المتصلة بالحافر وقيل اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن، وزيما: متفرقا، والأكم: هي الأراضى المرتفعة، والتنعيل: شد النعل على ظفر الدابة ليلقيها الحجارة.

٢٩- كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرِقَتْ   وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ

الأوب: بالفتح سرعة التقلب والرجوع، وعرقت: أي عرقها لا لتعب ولا لاعياء، وتلفع: اشتمل والتحف، والقور: جمع قارة وهي الجبل الصغير العساقيل: السراب.

٣٠- يَوْماً يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِداً   كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ

الحرباء: (بالكسر) هو حيوان بري له سنام كسنام الجمل يستقبل الشمس حيثما دارت ويتلون بألوان الأمكنة التي يحل فيها، ومصطخدا: محترقا بحر الشمس وروى (مصطخما) أي منتصبا قائما كما يروي (مرتبئا) أي مرتفعا، ضاحية: ما برز للشمس منه، ومملول: موضوع في الملة وهي الرماد الحار.

٣١- وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ   وُرْقَ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُو

الحادي: السائق للإبل، والورق: جمع أورق أو ورقاء وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد وقيل الورقة لون يشبه لون الرماد، والجنادب: جمع جندب ضرب من الجراد، ويركض الحصى: يحركنه بأرجلهن لقصد النزول بسبب الأعياء عن الطيران من شدة الحر، وقيلوا: أمر من قال يقيل قيلولة وهي الاستراحة وقت شدة الحر.

٣٢- شَدَّ النَّهَارُ ذِرَاعَي عَيْطَلٍ نَصِفٍ   قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ

شد النهار: وقد ارتفاعه وهو مبالغة في شدة الحر، والعيطل: الطويلة، والنصف: المتوسطة في السن وذلك حين استكمال قوتها وبلوغ أشدها فتكون أسرع في الحركة.

٣٣- نَوَّاحَةٌ رَخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا   لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

النواحة: الكثيرة النوح على ميتها، ورخوة الضبعين: مسترخية العضدين والبكر بالكسر: أول للأولاد، والناعون: المخبرون بالموت النادبون له، والمعقول هنا: العقل وهو من المصادر التي جاءت على (مفعول) كمسعور.

٣٤- تَفْرِي اللِّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا   مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ

تفرى: تقطع، واللبان: الصدر، والمدرع: القميص، ورعابيل: قطع متفرقة وهو جمع رعبول.

٣٥- يَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمْ   إِنَّكَ يَا بْنَ أَبِي سَلْمَى لَمَقْتُولُ

الغواة: المفسدون جمع غاو، جنابيها: حواليها تثنية جناب بفتح الجيم ومقتول: أي متوعد بالقتل لأن النبي ﷺ كان قد أهدر دمه.

٣٦- وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمَلُهُ   لَا أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

أمله: أؤمل خيره وأرتجي أعانته في الملمات، والهينك: أشغلنك (لا) فيها: نافية والتوكيد قليل مع النفي والمعنى لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف والفزع بأن أسهله عليك وأسليك.

٣٧- فَقُلْتُ خَلُّو سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ   فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

خلو سبيلي: اتركوه، وقوله لا أبا لكم: ذم لهم لكونهم لم يغنوا عنه شيئا أو مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء..

٣٨- كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ   يَوْمَاً عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

الآلة الحدباء: النعش الذي يحمل الميت.

٣٩- أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي   وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

انبئت: أخبرت، ويروى (انبئت) وأوعدني: تهددني بالقتل، مأمول: مرجو ومطموع فيه.

٤٠- مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ   الْقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

٤١- لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ   أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الْأَقَاوِيلُ

لا: إن كانت ناهية بحسب وضعها لكن المراد منها التضرع والتذلل.

٤٢- لَقَدْ أَقُومُ مَقَامَاً لَوْ يَقُومُ بِهِ   أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعِ الْفِيلُ

لقد أقوم: والله لقد أقوم مقاما (فهو جواب قسم محذوف) ، المقام هنا: مجلس النبي ﷺ.

٤٣- لَظَلَّ يَرْعُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ   مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ

يرعد: تأخذه الرعدة، والتنويل: التأمين والمعنى لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع، وإنما خصه بذلك لأنه أراد التعظيم والتهويل.

٤٤- حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهُ   فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قِيلَةَ الْقِيلُ

حتى وضعت: أي فوضعت وخص اليمين لأن الأشياء الشريفة تفعل باليمين ولا أنازعه، أي حال كوني طائعا له راضيا بحكمه في غير منازع، والنقمات: بفتح جمع نقمة، والمراد بصاحب النقمات النبي ﷺ حين قدم عليه وهو في المسجد ووضع يده يستأمنه.

٤٥- لَذَلِكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذَا أُكَلِّمُهُ   وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ

أخوف: أشد إخافة وإرهابا، ومنسوب: أي إلى أمور صدرت منك كقولك لأخيك بجير (سقاك بها المأمون.. إلخ) ؛ ومسئول: أي عن سببها، أو مسئول عن نسبك، فكأنه يقول من قبيلتك التي تجيرك منى؟ ومن قومك الذين يعصمونك منى فقد تبرؤا منك وتخلوا عنك.

٤٦- مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَّاءِ الْأَرْضِ مَخْدَرُه   فِي بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ

ضيغم: أسد، وضراء الأرض: الأرضً التي فيها شجر، والمخدر: غابة الأسد، وعثر (بفتح العين وتشديد المثلثه) ، اسم مكان مشهور بكثرة السباع، والغيل: الشجر الكثير الملتف، وغيل دونه غيل: دونه غيل: أي أجمه تقربها أجمة أخرى فتكون أسدها أشد توحشا وأقوى ضراوة، والخادر: الأسد الداخل في خدره وهو حينئذ يكون أشد قوة وبأسا.

٤٧- يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغامَيْنِ عَيْشَهُما   لَحْمٌ مِنَ الْنَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ

يغدو: يخرج في أول النهار يتطلب صيدا لشبليه، وفي رواية (يغذو) بالذال: أي يطعم ويلحم: يطعمها اللحم، والضرغام: الأسد، ويريد بالضرغامين شبليه، ومعفور: ملقى في العفر وهو التراب ووصفه بذلك لكثرته وعدم اكتراثه به لشبعه، وخراديل: قطع صغار يصف هذا الأسد بكثرة الافتراس وعظم الاصطياد.

٤٨- إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنَاً لَا يَحِلُّ لَهُ   أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَغْلُولُ

يساور: يواثب، والقرن (بكسر القاف) : المقاوم في الشجاعة، وفي ذكر القرن إشارة إلى أن هذا الأسد لا يساور ضعيفا ولا جبانا، وإنما يساور مقاومة في الشجاة، والمفلول: المكسور المهزوم.

٤٩- مِنْهُ تَظَلُّ سِباعُ الْجَوِّ نَافِرَةً   وَلَا تَمْشِي بِوادِيهِ الْأَرَاجِيلُ

الجو: اسم موضع أو هو ما اتسع من الأدوية أو ما بين السماء والأرض، نافرة: بعيدة ويروي (ضامزة) والضامز: الذي يمسك جرته بفيه ولا يجتر ويروي (ضامرة) أي جياعا لعدم قدرتها على الاصطياد، والأراجيل: الجماعات من الرجال وهو جمع أرجال وأرجال جمع رجل ورجل اسم جمع لراجل يصف هذا الأسد بالقوة حتى خافته السباع والناس.

٥٠- وَلَا يَزَالُ بِوادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ   مُضرَّجَ الْبَزِّ وَالدُّرْسَانِ مَأْكُولُ

أخو ثقة: الشجاع الواثق بشجاعته، ومضرج: مخضب بالدماء ويروي (مطرح) أي مطروح، والبز: السلاح، والدرسان (بضم الدال) : اخلاق الثياب الواحد دريس، ومأكول: أي طعام لذلك الأسد.

٥١- إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ   مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

يستضاء به: يهتدي به إلى الحق ويروي (لسيف) في مكان (لنور) وقد كانت عادة العرب إذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم أن يشهروا السيف الصقيل فيبرق فيظهر لمعانة من بعد فيأتون إليه مهتدين بنوره مؤتمين بهديه، شبه الرسول بذلك، والمهند: السيف المطبوع في الهند، والمسلول: المخرج من غمده.

٥٢- فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ   بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زَالُوا

العصبة: الجماعة ويروى (في فتية) جمع فتى وهو السخي الكريم، زولوا: فعل أمر من زال التامة أي تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة.

٥٣- زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفٌ   عِنْدَ الْلِقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ

الانكاس: جمع نكس (بالكسر) وهو الرجل الضعيف، والكشف: (بضم فسكون وحرك للشعر) جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه أو هم الشجعان الذين لا ينكشفون في الحرب أي لا ينهزمون، والميل: جمع أميل وهو الذي لا سيف له أو هو الذي لا يحسن الركوب فيميل عن السرج. والمعازيل: الذين لا سلاح معهم وأحدهم معزال (بكسر الميم) .

٥٤- شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

شم: جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفة علو، مع استواء أعلاه. والعرانين: جمع عرنين وهو الأنف، اللبوس: ما يلبس من السلاح. ونسج داود: أي منسوجه وهو الدرع، والهيجا (بالقصر هنا) : الحرب، والسرابيل: جمع سربال وهو القميص أو الدرع.

٥٥- بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حلق   كَأنها حِلَقُ الْقَفْعاءِ مَجْدُولُ

بيض: مجلوة صافية مصقولة لأن الحديد إذا استعمل لم يركبه صدأ. والسوابغ: الطوال السوابل، وشكت: أدخل بعضها في بعض ويروي (سكت) بمعنى ضيقت، والقفعاء: يعني ضرب من الحسك وهو نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض تشبه به حلق الدرع، ومجدول: محكم النعة.

٥٦- مَفَارِيحُ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ   قَوْمِا وَلَيْسُوا مَجَازِيعاً إِذَا نِيلُوا

مفاريح: كثيرو الفرح، ونالوا: أصابوا، ومجازيع: كثيرو الجزع.

٥٧- يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الْزُهْرِ يَعْصِمُهُمْ   ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ الْسُودُ الْتَنَابِيلُ

الزهر: البيض البشرة، يعصمهم: يمنعهم، عرد: فر، أو عرض عن قرنه وهرب عنه، التنابيل: جمع تنبال وهو القصير.

٥٨- لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ   وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

وقوع الطعن في نحورهم: دليل على أنهم لا ينهزمون حتى يقع الطعن في ظهورهم، وحياض الموت: موارد الحتف يريد بها ساحات القتال. تهليل: تأخر.